وفي يوم الجمعة الآتي، الخامس والعشرين من ذي الحجة قرئ منشور ولاية القضاء لمحيي الدِّين يحيى بن محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن يحيى القُرَشي، بالجامع في الشُّبَّاك الكمالي.

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وست مئة

في خلافة المستعصمِ بالله.

ففيها توفي شيخ الشيوخ أبو محمد عبد الله بن حَمُّوية[1] ـ رحمه الله ـ في سادس صَفَر، ودُفِنَ على أبيه بمقبرة الصُّوفية، حَضَرْتُ دفنه والصَّلاة عليه بجامع دمشق، وكانت له جِنازةٌ حَفْلة، وكان ـ رحمه الله ـ شيخاً حسناً، متواضعاً عالماً، فاضلاً دَيِّناً، صحيح الاعتقاد. سَمِعَ الحافظ أبا القاسم العساكري، والفقيه مسعود النَّيسابوري، وأبا الفَرَج الثَّقَفِي، وأبا طاهر الخُشُوعي، وغيرهم. سَمِعْتُ عليه أنا وابني محمد كثيراً، وأجاز لي جميعَ ما يرويه، رحمه الله.

وفيها تحقَّقَ موتُ القاضي الظَّالم، الوضيع الملقَّب بالرَّفيع[2]، وأعوانه، على ما سبق ذِكْرُهُ[3].

---

(١) هو أبو محمد، تاج الدين عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٢هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٦٣٧ ـ ٦٣٨، تكملة ابن الصابوني: ٨٢ ـ ٨٥، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٩٦ ـ ٩٧، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٢، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٢هـ)، نزهة الأنام: ١٥٧ ـ ١٥٨، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٠، شذرات الذهب: ٥/ ٢١٤.

وكان قد ولي مشيخة الخوانك بعد وفاة أخيه صدر الدين سنة (٦١٧هـ). انظر «مرآة الزمان» (وفيات ٦٤٢هـ)، وص ٣٣ من الجزء الأول.

(٢) هو أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل الجِيْلي الشافعي، له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٤٢هـ)، عيون الأنباء: ٦٤٧، مفرج الكروب: ٥/ ٢٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٠٩ ـ ١١١، العبر للذهبي: ٥/ ١٧٢ ـ ١٧٣، فوات الوفيات: ٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٤، الوافي بالوفيات: ١٨/ ٥٢٤ ـ ٥٢٦، طبقات الشافعية للإسنوي: ١/ ٥٩٢ ـ ٥٩٤، البداية والنهاية (وفيات ٦٤٢هـ)، نزهة الأنام: ١٥٨ ـ ١٥٩، النجوم الزاهرة: ٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥١، المنهل الصافي: ٢/ ٣٢٥، الدارس: ١/ ١٨٨، شذرات الذهب: ٥/ ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) انظر ص ٦٣ من هذا الجزء.

وفيها ماتَ جماعةٌ من أصحابنا ومعارفنا، منهم الكمال مسعود بن أحمد الحَوْراني الفقيه الشَّافعي، توفي خامس جُمادى الأولى، ودفن في مقبرة الصُّوفية.

وبعده بيومين توفي الشَّمْس محمد بن الجابي، ودُفِنَ بمقبرة الصُّوفية أيضاً، حَضَرْتُ دفنهما والصَّلاة عليهما، رحمهما الله تعالى.

وفي هذا الشهر من السنة المذكورة كُسِرَ الفرنج ـ لعنهم الله ـ ومن انضمَّ إليهم من منافقي المسلمين كسرةً عظيمة بين عسقلان وغَزَّة، وغُنِمَ منهم أموالٌ عظيمةٌ، وأُسر من الفرنج خَلْقٌ من ملوكهم وكبرائهم، وقُتِلَ منهم مقتلةٌ عظيمة، وذُهِبَ برؤوس المقتَّلين والمأسورين إلى مِصْر، ووقَعَ الرُّعْب في قلب صاحب دمشق، فتهيَّأ للحصار، وخَرَّب رباعاً كثيرة حول البلد، وغَرِقَتِ المساكنُ التي على حافَةِ بردى؛ بين جسرَيْ بابي توما والسَّلامة بسبب خَرَاب جسر باب توما وسَدِّه، فَرَجَعَ الماءُ وارتفع، فصار بحراً، فغرق ما كان على حافته، والله المستعان[1].

وفيها في نحو النِّصْف من شَعْبان توفي الجمال سليمان بن عبد الكريم ابن أُخت عبد العزيز الشَّيباني.

والشمس أحمد بن محمد بن عمارة البُرْجي، رحمهما الله.

وفيها في خامس شهر رمضان توفي تاج الدين، أبو العَبَّاس، أحمد بن شيخنا القاضي شمس الدِّين أبي نَصْر محمد بن هبة الله بن الشِّيرازي ـ رحمه الله ـ ودُفِنَ بالجبل، وكان خيِّراً، متواضعاً، فاضلاً، أميناً، ثقة، سمع جدَّه هبة الله بن محمد بن جميل، وأبا عبد الله محمدَ بنَ علي بن الحسن بن صدقة الحَرَّاني، وغيرهما، وأجاز له الحافظ أبو طاهر السِّلَفي.

---

(١) في (ك) و(ع) و(س) زيادة لقارئ، وهي: قلت: كانت هذه الوقعة بين عسكر مصر ومقدمه ركن الدين بيبرس الصَّالحي، وبين عسكر الشام ومقدمه المنصور صاحب حمص، ومعهم إفرنج السَّاحل يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الأولى.

قرأتُ لولدي محمد عليه أشياء من ذلك، فسمعها عليه. وحَضَرْتُ الصَّلاة عليه بجامع دمشق، صَلَّى الإمام عليه، وعلى المؤذن المعروف بديك العرش ـ مؤذِّن بيت المقدس ـ في ساعةٍ واحدة؛ وكان هذا المؤذِّن مسنًّا، وابتلي بمرضٍ طويل ـ رحمه الله ـ وقبره بمقابر الصُّوفية.

ومما سمعه ابني محمد على ابن الشِّيرازي المذكور «صحيح مسلم»، بسماعه من الحَرَّاني، عن أبي عبد الله الفَرَاوي، عن الفارسي، عن الجُلُودي، عن إبراهيم، عن مُسْلم.

١٧٥ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وست مئة

في خلافة المستعصم بن المستنصر بن الظَّاهر بن النَّاصر، ومدينة دمشق يومئذٍ محاصرة.

ففي الثامن من محرَّم ضويقت مضايقةً شديدة، وقد اجتمع عليها عساكرُ عظيمةٌ من المِصْريين والخُوارَزْمية وغيرهم. ففي تلك الليلة أُحرق قَصْر حَجَّاج والشَّاغور، واستولى الحريقُ على مساجد وخانات ودورٍ عظيمة، ومن ذلك مسجد جراح خارج باب الصَّغير، وكان جامعاً تقامُ فيه الجُمُعات، ثم نُصِبَتْ على دمشق المجانيق، ورُميت به من بابَيْ الجابية والصَّغير، ونُصِبَتْ أيضاً مجانيق داخل البلد، وترامى الفريقان، وأُمِرَ بتخريب عمارة العُقَيبة خارج باب الفراديس، وباب السَّلامة، وباب الفَرَج[1]، وأُحرق حكر السُّماق خارج باب النَّصْر، واشتدَّ الغلاء، وعَظُمَ البلاء، وزادت أوقية البصل على نِصف دِرْهم، وبلغ التبن أن بِيْع وزناً كل أوقية بِقِرْطاس، ثم أُحرقت العقيبة في أول ربيع الأول.

(١) وقد خرب كذلك حمام القصير والدور والإسطبل والخان التي كان يملكها العماد الكاتب؛ قال أبو شامة في «كتاب الروضتين»: ٢/٤٢٩: قد خربت هذه الأماكن في سنة ثلاث وأربعين وست مئة بسبب الحصار، واستمر خرابها، وعفت آثارها، وصارت طريقاً على حافة بردى، وأنت خارجٌ من جسر الصفي، خارجَ باب الفرج، ماراً إلى ناحية الميدان.